

زوجة عم موسى

لم يفتح لى عم موسى قلبه بالصدّاقة إلّا بعد مرور أربع سنوات كاملة من التعامل معه ، ومحاولة التقرب منه . كان دكانه يطل على الناصية التى أحب دائماً أن أقف عليها مستقبلاً أصدقائى، أو متطلعاً إلى ظهور حبيبتي التى كانت تطل على فترات من الشرفه المواجهة للناصية.

وفى البداية، كان عم موسى يضيق بى، وبأصدقائى بسبب ما نحدثه من ضجة كانت تعكر عليه صفو جلسته المهادئة فى الدكان. ومع أن المرائحة المنبعثة من الفسيخ والسردين والملوحة كانت زاعقة، إلّا أنها كانت بالنسبة لنا شيئاً عادياً للغاية. والأمر الذى جعلنا نكسر عين عم موسى به ، أننا كنا فى كثير من الأحيان نطلب منه أن يهيئ لنا أكلة معتبرة، يقوم هو نفسه بإعدادها، وإضافة الزيت والمخل إليها، وأحضار الليمون والخس والطماطم لتكسر حدتها. وكان الرجل يسمح لنا أحياناً باستخدام ركن من المحل لتتناول فيه تلك الوجبة الشهية، والتى كنا نمنحه لقاءها أكثر مما تستحق .

ذات يوم كنت أقف وحدي أمام الدكان، وفجأة وجدت عم موسى يخرج لي الكرسي الخاص به، ويدعوني أن أجلس عليه. وترددت كثيراً، لكنه ألح. وعندما جلست ظل هو واقفاً، ينظر في وجهي، وينتظر أن أسأله :

— ما الخبر؟

وقبل أن أفعل ذلك قال :

— الجماعة عندي غضبانين.

كنت أعرف أنه متزوج من امرأة تصغره بعشرين سنة على الأقل، ورغم افتقادها لأي قدر من الجمال إلا أنها كانت لعوباً، تفتح بعينها أي رجل، ولما تخجل من أن تلمسه بيديها، وتزيح الملابس عن كتفها وهي تمازحه. كنا جميعاً نعرف عنها ذلك، ونتجنب محادثتها قدر الإمكان، احتراماً لعم موسى، وتقديراً لشيخوخته المهادنة والمصامتة دائماً.

قلت له :

— خير يا عم موسى.. وهل هناك سبب يستحق ؟

— أبداً والله يا أستاذ المسألة تتعلق دائماً بغسيل الجلابية.

دهشت، فاستمر قائلاً :

— أصل مهنتنا هذه تتطلب نظافة المهدمة باستمرار. وأنا اشتريت عليها ذلك قبل الزواج، لكنها عادت تقول لى: أنا زهقت خلاص من غسيلك المقرض، ورائحتك المزفرة ؟

قلت له محاولاً التهدة:

— وهل حدث ذلك منها مؤخراً، أم من مدة طويلة؟

— كانت تقول ذلك دائماً، لكنها فى الفترة الأخيرة أصبحت أكثر نرفزة، وأعلى صوتاً

.. فكرت قليلاً، ثم وجدتني أقترح عليه شراء غسالة ملابس توفر عليه وعليها القيام بهذا العمل. لكن الرجل نظر إلى بانكسار شديد وقال :

— أبداً يا أستاذ .. والله لو أحضرت لها مغسلة بكاملها لن يعجبها. المست ما دامت تزهي يبق خلاص مفيش فايده .

قلت له : يعنى إيه مفيش فايده ؟!

قال :

— يعنى لابد من طلاقها . يمكن هى شايفة شروفة تانية. وربنا يسهل لكل حى.

وتركنى عمى موسى على الكرسي، ودخل المحل ينقل الماء المملح من بعض البراميل إلى الأخرى، وانهمك فى عمله على نحو لم يترك لى أى فرصة لمواصلة النقاش معه.

ظهرت حبيبتي في المشرفة، فحاولت أن أنسى موضوع عم موسى، لكنه كان أقوى من أن أطرحه جانباً. ولمحت يديها تنشران قميصاً لأخيها الصغير، ووجهها يضحك بابتسامة عذبة، ثم تختفي بسرعة خوفاً من أن يشاهدها أحد. قلت لنفسى:

— هل ستظل هذه المابتسامة طويلاً، أم أنها ستختفى كما اختفت ابتسامة زوجة عم موسى؟ ومن يدرى ربما قبل عشرين سنة؟